المدن - ماذا سيقرأ العلويون..عن التشيع؟

almodon.com/arabworld/2015/9/12/ماذا-سيقرأ-العلويون-عن-التشيع

صراع بين الفروع الأمنية على ما يجب أن يقرأه العلويون في المدينتين (أ ف ب)

للوهلة الأولى قد يظن المُتابع للشأن السوري عبر الإعلام السوري الرسمي، أن النظام يحرص على ثقافة معرفية تنحو نحو نشر "العلمانية" من خلال الكُتب التي يسمح بتواجدها في الأسواق، أو حتى كُتب نقد الفكر الديني التي تتسم بالمعاصرة، كَردٍ على الموجة التكفيرية التي يتبناها ألد أعداء النظام من المعارضة المسلحة، والتي يُعاني منها النظام أشد المعاناة.

إلا أن حاضر المكتبات السورية عموماً مازال مفتوحاً للكتب الدينية الإشكالية التي تُكفر الأقليات ككتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية، من دون أي رقابة يفرضها النظام على انتشار أفكار هذه الكُتب. قراءة التكفير مفتوحة للجميع وبكل سهولة رغم أنها المصدر الأول لكارهي النظام ومحاربيه. بل حتى أكثر رجال الدين السنّة قُرباً من النظام كمحمد سعيد البوطي، لديه كتاب اسمه "باطن الإثم" يُخرج فيه الباطنيين أي العلويين والاسماعيليين والدروز من الدين الإسلامي الصحيح بكل وضوح. والنظام لم يعترض على هذا الكتاب، ولا يشير الواقع إلى اكتشاف الأقليات الإسلامية لخطورة الكتاب على عقائدهم، فصور البوطي مع الأسد تنتشر في طرطوس واللاذقية بكثافة، أي أن للبوطي رصيداً غنياً في وجدان من يُخطئهم في الدين ويُخرجهم منه.

في مدينة اللاذقية وطرطوس صراع آخر، ليس بين الشعب العادي والسُلطة القامعة، بل بين الفروع الأمنية على ما يجب أن يقرأه العلويون في المدينتين. والمعروف في سوريا أن الفروع الأمنية لا تتبع لإدارة الدولة والمؤسسة البيروقراطية التقليدية. فالفروع الأمنية أنشئت ضمن الفترة التي فُرض فيها قانون الطوارئ في سوريا وتشكيل الحكم الثوري البعثي منذ عام 1963 وحتى مراحل متقدمة من تاريخ سوريا، ككيانات أمنية تتبع لشخصيات مقربة من الرئيس حافظ الأسد، تتوزع على العشائر العلوية المختلفة.

ويدور الصراع اليوم على طبيعة الكُتب التي عليها أن تنتشر بين العلويين، فالأجهزة الأمنية لا تنسق بين

بعضها البعض، وقياداتها مختلفة ومتصارعة أيضاً في العاصمة. ومنذ أيام قليلة وللمرة الثانية، تمت مداهمة أغلب مكتبات اللاذقية وطرطوس من قِبل فرع "الأمن العسكري"، وتم اعتقال بعض أصحاب الدور والمكتبات. وكان صاحب مكتبة "الإمام الجعفر الصادق" -أكبر مكتبة دينية في الساحل- قد اعتقل منذ فترة لما يزيد عن 10 أيام، وذلك بسبب كتاب "العقائد الجعفرية العلوية" الذي ينتقد صاحبه المذهب العلوي ومرجعياته. والكاتب سوري يقيم في إيران، وينتمي للطائفة العلوية، ومضى في مرحلة التشيع أشواطاً جعلته ينقد المذهب العلوي كاملاً ويهاجمه بطريقة قاسية، ما حدا بقيادة "الأمن العسكري" في طرطوس واللاذقية مصادرة الكِتاب وإغلاق دار النشر التي طبعته ريثما ينتهي التحقيق. وسرعان ما انتقلت بعدها موجة المداهمة إلى كُل الكتب الشيعية التي تُهاجم العلويين ومذهبهم.

وفي الوقت ذاته، قام "فرع أمن الدولة" في اللاذقية وطرطوس، بمصادرة الكُتب العلوية التي يُهاجم فيها الكُتاب العلويون المذهب الشيعي، وخاصة في طرطوس التي يتمسك فيها العلويون بتقاليدهم الدينية، ويقفون ضد حالات التشيّع بقسوة بالغة.

الكتب المصادرة اختفت، فكل مكتبة في اللاذقية قد اجتيحت بعشرات السيارات والعناصر لجمع الكُتب، وعلى مدارِ أسبوعين لا اكثر جُمعت كل الكتب التي قد تشكل أزمة بين المذهب العلوي والشيعي. والمعتقلون من أصحاب المكتبات خضعوا لمراجعة طويلة مع رؤساء الفروع الأمنية. وفي التحقيق جمع "فرع الأمن العسكري" المعلومات عن كل كتاب يدعو للتشيّع ويُهاجم العلويين، وفي "فرع أمن الدولة" تم التحقيق بالكتب التي تُهاجم التشيّع ومصادره الدينية.

أصحاب المكتبات التزموا بعدم بيع أي نسخة من الكتب، تحت طائلة السجن وإغلاق المكتبة بالشمع الأحمر. ويبدو أن توافقاً بين الجهازين الأمنيين، قد تمّ، ريثما يؤكد أحدهما وجهة نظره. ويستغرب أصحاب المكتبات من هذا الهجوم، وخاصة أن كُتب ابن تيمية والكُتب السُنية الأكثر تهجمّاً على العلويين، لا تُلمس، ولا يُعتقل أحدٌ من أجلها، ويُسمح ببيعها بكل بساطة حتى على أرصفة الشوارع. أما الكُتب الفكرية التي تصدر من داخل عقلية الفكر الإمامي بالعموم قد تُمنع ويُفتك بكاتبها أو ناشرها.

يرتبط هذا الصراع الأمني بالصراع الاجتماعي-الديني داخل المجتمع العلوي، جراء حملات التشيّع، والتدخل الإيراني في سوريا، وتخوف قيادات أمنية واسعة الصيت والتأثير من انفكاك عصبة العلويين نحو بُعد شيعي أكبر وأكثر تأثيراً وقوة. وخاصة أن النظام قد منع لفترة طويلة نشر كُتب دينية عن العلويين، وفرض عليهم ذاكرة المشافهة والتعليم الديني غير الموثق بالأوراق والكُتب، لكي تظل معرفة الدين بين أيدي قلة تعرفه، وفي الوقت ذاته محكومة ومُسيطر عليها. بسبب ذلك لجأ الكُتاب العلويون إلى بيروت لنشر كتبهم عن العلويين بعدما منع النظام دور النشر السورية من لعب هذا الدور. أما اليوم فدخول التشيع على الخط أيقظ الكثير من العلويين للدفاع عن عقيدتهم، خاصة أن التشيع قد ضرب أطنابه ويُدعم ثقافياً من دولة كبيرة جداً، وباتت عالمية الهوية، ومن فرع أمني لا بأس في قوتهِ هو "أمن الدولة"، الذي يبدو أن قياداته تنحازُ لإيران أكثر من انحيازها لهوية الطائفة الأكثر تمثيلاً في فروعها وأقسامها.

النظام عموماً ينتظرُ حلاً ما للأزمة ليُعيد ترتيب أوراقه، وترتيب أوراق ومشاريع مخترقيه اجتماعياً، وخاصة على مستوى طائفته الأكثر التصاقاً به.

شارك المقال :
0

622 مشاهدة